

مقرر: نظرية المعرفة

د. جمال نور الدين إدريس

طبيعة المعرفة:

- بحث الفلاسفة الذين قالوا بإمكان المعرفة ، طبيعة هذه المعرفة وفسروا معرفة الإنسان للأشياء وكيفية إدراكه لها ، وانقسموا حيال ذلك إلى مذهبين:
- المذهب الواقعي.
- المذهب المثالي.
- **المذهب الواقعي: تعريفه:** هو المذهب الذي يقوم على أن للأشياء الخارجية المُدرَكة وجوداً عينيّاً مستقلاً عن القوى التي تدركها ، عن جميع أحوال التفكير التي يقوم بها العقل تجاهها.

- ويرى أصحاب هذا المذهب: أن معرفة العقل مطابقة للأشياء المدركة كما هي ، فليس العالم الخارجي - كما هو مدرك في عقولنا - إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع.
- المعرفة عند الواقعيين: إدراك عقلي أو حسي مطابق للأعيان في الخارج أو هي: انعكاس العالم الخارجي على العقل وللمذهب الواقعي صورتان:
- الصورة الأولى: هي الصورة الساذجة التي تثق في المذكرات الحسية ثقة كاملة وتحكم بصحة كل ما جاء عن طريقها مما أثبتت التجارب خطأه.

الصورة الثانية: هي الواقعية النقدية التي ترى أن الحس يدرك حقائق الأشياء ، وهذه الحقائق تمحص في ضوء قوانين العلوم الطبيعية ؛ فليست المعرفة تصوراً مطابقاً تماماً لتلك الأشياء التي أدركها الإنسان في الخارج (ولكنها أصبحت صورة معدلة بفعل العقل الذي يستطيع أن يتجاوز الجزئيات المحسوسة إلى الكليات).

● ولقد أفرط بعض أتباع هذا الاتجاه فألغوا قيمة الفكر في مقابل الوجود الخارجي وجعلوا هذا الفكر مجرد انعكاس لذلك الوجود كبعض طوائف الوضعيين. ولكن آخرين من الواقعيين وإن اثبتوا وجوداً مستقلاً للأشياء عن العقل إلا أنهم يثبتون استقلال العقل أيضاً.

● المذهب المثالي :

● **تعريفه:** يقوم هذا المذهب على إنكار كون المعرفة إدراكاً مطابقاً للموجودات المُدرَكة ، وكون هذه المدركات لها وجود عيني مستقل عن العقل الذي يدركها ؛ لهذا فهم يرون أن وجود الأشياء يتوقف على القوى التي تدركها ؛ إذ لا تعدوا أن تكون صوراً عقلية.

- وقد فسر جورج باركلي الإنجليزي الوجود بأنه:
(الإدراك وقال : إن وجود الشيء هو إدراكه وليس
لهذا الشيء وجود مستقل عن إدراكه).
- وقال فيشته (يوهان جوتليب) الألماني : إنّ الطبيعة (
مكونة بقوانين فكري وليست إلا علاقات بيني وبين
نفسي . أما العالم الخارجي فليس بوسعنا أن نقيم على
وجوده الموضوعي دليلاً .
- وقد غالى بعض أتباع هذا المذهب حيث أحالوا الوجود
الموضوعي للأشياء إلى مجرد أفكار وخواطر
وابتعدوا عن دنيا الواقع واستخفوا بعالم الشهادة .

- **ولكن فريقاً آخر منهم مثل : باركلي :** أدركوا استقلال المدرّكات الحسية عن العقل الذي يستقبلها ، ففسروا ذلك بأنها موجودة في العقل الإلهي يستقبلها العقل البشري منه.
- **ومن أجل التوفيق بين هذين المذهبين في نظريتهما المتعارضتين لطبيعة المعرفة كان مذهب النقيدين.**
- **المذهب النقدي :**
- **تعريفه :** وهو المذهب الذي يقوم على الثنائية في المعرفة ، بين الذات العارفة والموضوع المعروف متفادياً

الانقطاع إلى جانب واحد جامعاً بينهما.

● فقد انتقد كانت الواقعية التي غلت في تعظيم الموجودات الخارجية حتى ألغت دور العقل ، كما انتقد المثالية الغالية التي أحالت الأشياء كلها إلى معان وتصورات عقلية . والمعرفة عنده لا تستقى من الحس وحده ولا من العقل وحده وإنما منهما

● والموضوعات – عند كانت- كما تعرفها لنا التجربة هي-فقط – كما تظهر لنا فهي ظواهر تتجلى بها

- الأشياء بعقولنا ووراءها يوجد الشيء في ذاته (إننا لا نعرف الأشياء كما هي ؛ ولكن كما تظهر لنا فقط).
- ومعرفة هذه الظواهر تتم من خلال نقلها بالحواس إلى الذهن ثم مطابقتها لمقولات العقل ، ومبادئه القبلية.
 - وعلى هذا تكون المعرفة عند كانت ذات عنصرين:
 - خارجي: وهو مادة المعرفة التي تأتي من الأشياء بواسطة الحواس .
 - وداخلي: ينبثق من العقل ، متمثلاً بمقولات العقل التي يقول بها كانت وهي سابقة على كل تجربة.

- دائر البحث في طبيعة المعرفة والعلم في الإسلام
أوسع مدى من البحث الفلسفي لها ، فالبحث الفلسفي
- 1- ينظر إلى العلم الإنساني منبثراً عن أي علم سواه ، هذا جانب .
- 2- والجانب الثاني أنه يبحث المعرفة من حيث هي كائنة دون امتداد إلى أصولها الصحيحة .
- أما في الإسلام فإن المعرفة البشرية تأتي تابعة للحديث عن العلم الإلهي كما جاء في القرآن كثيراً كقوله: **[أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ]** البقرة. **[سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا]** (32) البقرة.

● ودراسة علماء الكلام لعلم الإنسان تأتي تبعاً لبحثهم في صفة العلم لله تعالى.

● **أما ما يخصّ الجانب الآخر:** فإنّ الإسلام يمتد بالمعرفة البشرية إلى خالقها في الإنسان إيجاباً لأسبابها: [وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)] النحل.

● وتتمثل طبيعة المعرفة في الإسلام في الآتي:

- 1- يثبت الإسلام للأشياء وجوداً خارجياً عينياً مستقلاً عن الذات العارفة ، وتنقسم هذه الموجودات إلى موجودات عالم الغيب وموجودات عالم الشهادة.
- 2- أن المعرفة البشرية ثمرة إلتقاء بين ذهن الإنسان وبين الموجودات الخارجية ؛ وإن كان هذا لا يعني التلازم التام بين الموجودات وذهن الإنسان ؛ بمعنى أنه ليس كل موجودٍ معروفاً أو ممكنة معرفته [**كيفية الذات الإلهية**] .

● وليس كل تصور أو تصديق في ذهن البشري واقعاً على شيء خارجي أي حقيقة خارج ذهن [فالقوة المتخيلة لدى الإنسان قد تتركب معان وتشكيلات لا حقيقة لها في الواقع : كما في تصورات الشعراء الخياليين أو أنواع الرؤيا المنامية والتي تكون نتيجة ضعف القوة العاقلة أو نتيجة سيطرة خواطر معينة على الإنسان حال اليقظة وهي تسمى بالمصطلح القرآن (أضغاث الأحلام)؛ وقد أدى الخلط بين هذه الحالة والمعرفة المطابقة لدى بعض الاشرقيين

● والمتصوفة إلى منزلق خطير حيث نقلوا تخيلاتهم وتصوراتهم الذهنية التي تستولي عليهم حال الفناء إلى عالم الواقع فنطقوا بما يخالف الشرع والعقل والقول بالاتحاد والاندماج.

● وبعكس هؤلاء رفض بعض الفلاسفة اعتبار وجود خارجي لما لا تدركه الحواس من الأمور المذكورة في القرآن من جنة ونار....

● 3- أمّا كيفية العلاقة بين عقل الإنسان والأشياء الخارجية ؛ فإنها تتم من خلال تطبيق العقل البشري

● مبادئه القبلية على الأشياء التي أمامه حيث يثمر ذلك المعرفة: [قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)] سبأ، ويتم ذلك بقصد الإنسان وفعله وخلق الله المعرفة مثل سائر أفعال الإنسان وقد تقذف المعرفة في قلب العارف دون قصد منه كالوحي والإلهام.

● 4- أما تأثير العلم في وجود المعلوم ففيه مسألتان:

● الأولى: ينقسم العلم إلى:

- ما له أثر له في وجود معلومه.
- وما لا أثر له فيه.
- سواء كان ذلك علم الله تعالى أو علم البشر.
- **فمن النوع الأول:** علم الله بنفسه ، وعلم البشر بمخلوقات الله.
- **ومن النوع الثاني:** علم الله بمخلوقاته ؛ فإنّ خلقها مشروط بالعلم [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)] الملك.

● وكذلك علم الإنسان بما يريد فعله شرط في وجود المعلوم وهذا الوجود تابع للعلم به. كما في سائر المخترعات البشرية.

● **الثانية:** أن تأثير العلم في المعلوم ليس سبباً مستقلاً في وجوده كما قرره بعض الفلاسفة بالنسبة لعلم الله ، وكما هو منتهى فلسفة **باركلي** المثالية إذ هنالك أسباب أخرى لها عمل في الإيجاد كالقدرة والمشية. ولهذا كان المولى- عز وجل- يعلق وجود الحوادث بالقدر والمشية كما في قوله: **[إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133)]** النساء .

• أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ (99). وقال بالنسبة للإنسان: [اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)] فصلت.